

ظهور حركة الشبان الجزائريين*

The Emergence of the Movement of Young Algerians

صص 155-175 ~~~~~ دة: صافر فتيحة

صص 155-175

Dr. SAFER fatiha

أستاذة محاضرة أ في التاريخ الحديث والمعاصر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية-جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

Safer.fatiha@univ-oran1.dz

Abstract: The movement of young Algerians is one of the main movements in the history of the Algerian struggle. It led the political struggle movement and turned the confrontation with the French occupation from an armed confrontation to confrontation through dialogue and the demand for rights and reforms. The young Algerians realized that the French occupation became an irreversible reality, especially after the defeat of the Ottoman Empire in its European wars and the fall of the Arab countries in the hands of foreign hegemony. So they demanded to improve the situation of Algerians and give them more rights, especially after there was an Algerian elite educated and graduated from French schools and institutes, they knew the French culture due to their collision with the French elites. In their struggle, they adopted new means and tools that never before used before in Algeria , such as the press and the establishment of cultural and sports associations.

The young Algerians appeared at the same time youth movements spread in many Arab countries to indicate a new intellectual elite whose members were enriched with European culture and were influenced by Western civilization. Their concern was to level the Arab peoples to the same level as European peoples through intellectual renaissance freed from the shackles of backwardness through education Spreading knowledge and participating in managing through the various elected councils

Abstract : Elite, young Algerians, political struggle.

مقدمة: من الأسئلة التاريخية التي لا تزال مطروحة على ساحة البحث والنقاش، تلك التي تعلقت بحركة الشبان الجزائريين وهي كثيرة، ولعل أولها كان حول تسميتهم، وكذلك تاريخ ظهورهم وطبيعة مطالبهم، وبالتالي هذا يحيلنا إلى سؤال جوهري، وهو ماذا قدمت هذه النخبة في مسار النضال المستمر للشعب الجزائري؟

من المسلم به أن نضال الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي بدأ منذ اللحظة الأولى التي وضعت فيها الجيوش الفرنسية أقدامها على الأرض الجزائرية، واستمر هذا النضال خلال كل مراحل الاستعمار الفرنسي، لكنه في كل مرة كان يأخذ مظهرا وأسلوبا جديدين تقتضيه طبيعة المرحلة والوسائل المتوفرة لهذا الشعب؛ فكلما فشلت نخبة من الشعب الجزائري في مقاومتها استخلفتها نخبة أخرى بأسلوب جديد فرضته عليها طبيعة وظروف المرحلة، لذلك جاء نشاط الشبان الجزائريين في القرن العشرين ضمن هذا السياق، وهو استمرارية مقاومة الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي غير أن نضالهم أخذ مظهرا مختلفا، واستعمل أساليب جديدة لم يعهدها الجزائريون من قبل.

1- لماذا تسمية الشبان الجزائريين: عندما نتحدث عن الشباب في أي مجتمع فنحن نتناول مرحلة عمرية من مراحل عمر الإنسان، وكذلك من مراحل عمر مجتمع يتجدد باستمرار كلما مر الزمن، وتتجدد معه فئاته الاجتماعية، والشباب في أي مجتمع هم أمله ومستقبله؛ فإذا أحسن إعدادهم ضمن الرقي والتطور، وتظهر أهمية الشباب في فترة المحن والمصاعب التي يمر بها أي مجتمع لأنهم ساعده وهم عقله وهم خزان الأفكار والتجديد إذا حصنهم الكبار بالعلم والمعرفة والقيم التي يؤمنون بها.

تتفق جميع المصادر التي تناولت تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر على أن "الشبان الجزائريين" هم بعض المثقفين الجزائريين ذوي التكوين الفرنسي، الذين صاغوا في بداية القرن العشرين مجموعة من المطالبات الحقوقية التي تخص أبناء وطنهم، وتطابقت عباراتهم المستعملة مع تلك التي استعملها الشبان التونسيون، والتي كان يتحدث بها الشبان الأتراك أو الشبان المصريون، ولذلك تمت تسميتهم "الشبان الجزائريين". وهي التسمية التي دعت إليها جريدة المصباح لما طالبت الجزائريين بالتوقف عن نعت بعضهم البعض بأسماء المناطق التي ينتمون إليها، وأنهم كلهم جزائريون، ورفضت أن ينعت الشبان الجزائريون بغير هذه التسمية، فهم ليسوا شبان أترك أو شبان عرب ولا عمائم شابة (Jeunes turbans)¹.

جاءت تسمية "الشبان" لتشير إلى فئة من المسلمين الجزائريين المثقفين الذي اختلفوا عن سبقيهم في تعاطيهم مع المسائل الثقافية والاجتماعية والسياسية

لمجتمعهم، والحقيقة أن مصطلح "الشبان" (La jeunesse) انتشر بأوروبا خلال القرن التاسع عشر في الأوساط الأدبية والفنية الأوروبية؛ فدل على فئة من المجتمع اختلفت وخالفت في تعاملها مع الواقع الذي كانت تعيشه، وفي تناولها لقضايا الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية عن جيل الكبار²، وإذا كان مفهوم الشباب يعبر عن مرحلة عمرية ومسافة زمنية تفصل بين جيل وآخر، وهذا هو المفهوم البيولوجي للشباب، يمكن الحديث عن الشباب ضمن إطار فترة زمنية طويلة تفصل الأبناء عن الآباء؛ فالعنصر الأساس الذي يميز كل جيل عن الآخر هو الثقافة، أي وجود نمط معين من التفكير والقيم والرغبات والطموحات، وبمعنى آخر وجود نظرة معينة إلى العالم والمجتمع والحياة عامة، وهذه الأفكار والقيم والرغبات هي التي تحدد هوية كل جيل، وتميزه عن الآخر. هكذا عبر مفهوم "الشبان الجزائريون" عن نخبة من الجزائريين المتخرجين من المدرسة الفرنسية، اختلفوا عن النخبة التي سبقتهم أي نخبة "العمام القديمة" التي تكونت من الأعيان المحافظين ذوي الثقافة المزدوجة، في نمط وأدوات ووسائل العيش، وبالتالي تشكلت لديهم أساليب تفكير وسلوكات على حسب المؤثرات والتقنيات الجديدة التي اكتسبوها من المدرسة الفرنسية، ومن احتكاكهم المباشر بالمجتمع الكولونيالي، لذلك لازمت هذه الكلمة فئة من المجتمع الجزائري ذات رؤية جديدة ومختلفة للكثير من القضايا، تسعى إلى التغيير بوسائل وطرق لم يستعملها الكبار من قبل، ومنها ضرورة الأخذ بمناهج الحداثة القائمة على العلم والحرية والعقل، وإعطاء الإنسان قيمة عليا وأساسية³، الأمر الذي سهل عليهم عملية الاحتكاك بالمتقنين الفرنسيين وأحرار فرنسا، وصفهم المؤرخ يوسف مناصرية بالحنكة والمعرفة بمنافذ السياسة وأسرارها، مطلعين على أحوال أصحابها وأساليبهم، كما كانوا لا يجهلون مأساة المسلمين في الجزائر، ومدى تأثير القوانين الاستعمارية عليهم، شاعرين بهمومهم وآلامهم⁴.

شكل الشبان الجزائريون نخبة جديدة واعية بكل ما يحيط بها في الواقع بسبب ما توصلوا إليه من معرفة، وقدرتهم على التأثير في الآخرين، ورسم الأهداف من أجل تطوير المجتمع، وهكذا أصبحوا نخبة سياسية أو ثقافية تضم في صفوفها انتليجنسيا رافضة للوضع القائم وداعية إلى تعديله⁵، نخبة لها رؤية معينة لقضايا شعبها وإن

اختلفت مستوياتهم ووظائفهم ودلالاتهم الثقافية، هكذا اتسع مفهوم المثقف عند حركة الشبان الجزائريين ليشمل المفكرين والكتاب والمبدعين والأطباء والمهندسين والمديرين ورجال القانون والموظفين والصحفيين ورجال الأعمال⁶، لم يكن السن هو العامل المحدد لهذه الفئة بقدر ما كان نمط الثقافة المكتسبة أي وجود نمط معين من التفكير والقيم والرغبات والطموحات، وبمعنى آخر وجود نظرة معينة إلى العالم والمجتمع والحياة عامة، لذلك لم يجمع بينهم السن بقدر ما جمع بينهم الفكر والهدف والوسائل المشتركة؛ فعندما نعود إلى المعدل العمري للمجموعة الشبانية التي قابلت جول فيري عام 1892 أو تلك التي مثلت وفد سنة 1912 نلاحظ أن أعمارهم تراوحت بين 35 و45 سنة، وهي سنوات اكتمال النضج عند الإنسان، وبالتالي قدرته على التفكير السليم، وأخذ القرارات الصائبة، ذلك أنها خلاصة تجربة وممارسة لا تقل عن عشر سنوات، وقد عبر الأمير خالد في جريدة الإقدام عن افتخاره بانتمائه للشبان الجزائريين، وهو في سن 47 من العمر⁷، وكذلك كان حال امحمد بن رحال وابن موهوب اللذان تصنفهما المراجع تارة مع النخبة المحافظة وتارة أخرى مع نخبة الشبان، وغيرهم من رجال النخبة داخل حركة الشبان الجزائريين الذين لم يجمع بينهم التقارب الزمني بقدر ما جمع بينهم نمط وطرق التفكير والنضال؛ فالشبان الجزائريون مثلوا جيلا جديدا، بأفكار ووسائل نضال جديدة.

2- إشكالية وضع تعريف للشبان الجزائريين: عرفهم واحد من أبناء جيلهم "بأنهم أولئك الشباب الجزائري المتخرج من المدرسة الفرنسية، والقادر بأعماله أن يصعد فوق الجماهير، وأن يضع نفسه في مصاف ناشري الحضارة الفينيقيين"⁸. كما قدّمهم المفكر أبو بكر عبد السلام بن شعيب في عرضه الذي شارك به في أشغال المؤتمر العالمي لعلم الاجتماع الكولونيالي سنة 1900 على أنهم "نخبة من الشباب الجزائري الذين أتقنوا اللغة الفرنسية وأجادوها، والذين ترددوا على المدارس الفرنسية بمدينة الجزائر أو المدارس الإسلامية، درسوا الآداب الفرنسية، ولهم أفكار ومشاعر كأنهم فرنسيين حقيقيين"⁹.

أما المؤرخ عمار بوحوش فقد وصفهم بأنهم نخبة من الشباب الجزائريين الذين استهوتهم الحضارة الأوروبية؛ فربطوا مصيرهم بمصير فرنسا، ذلك أن معظم

المثقفين باللغة الفرنسية كانوا يعتقدون أن مأساة الجزائريين تكمن في التفرقة العنصرية التي فرضتها الإدارة الاستعمارية¹⁰، وهو نفس التعريف الذي نجده عند الباحث يوسف مناصرية الذي يصف هؤلاء الشبان "بأنهم فئة من المثقفين الجزائريين حصرت مواقفها وبرامجها ونشاطها في إطار القانون الفرنسي، ولم تربط مطالها وإيديولوجيتها بمقومات الشخصية الوطنية"¹¹.

يتحدث المؤرخ أبو القاسم سعد الله في مؤلفه الذي يؤرخ للحركة الوطنية الجزائرية عن "حركة الجزائر الفتاة"، وهو يقصد بها حركة الشبان الجزائريين، ولعل هذه التسمية كانت اقتداء بالتسميات التي أطلقت على الكثير من الحركات الوطنية التي ظهرت في بقية البلاد العربية مطلع القرن العشرين كحركة مصر الفتاة وتونس الفتاة وتركيا الفتاة وغيرها.

وفي تعريفه لها يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن حركة الشبان الجزائريين: "هي حركة وطنية كانت تهدف إلى تحرير البلاد بطرق شرعية وسياسية، مستعملة في أغلب الأحيان وسائل غربية...؛ فالجزائر الفتاة أرادت أن تتخلص من الحكم الفرنسي بطرق جديدة. لقد اقتنعت بأن اللجوء إلى الثورات غير المنظمة كان بلا فائدة، وأن فرنسا... قوية لدرجة أنها تستطيع أن تحطم أية حركة وطنية تستعمل نفس الطرق القديمة"¹²، وهنا نلاحظ أن سعد الله يتحدث عن نخبة جزائرية وطنية جديدة اكتشفت من خلال تجربة غيرها من النخب الجزائرية التي سبقتها أن طريق العمل المسلح فشلت في تحقيق النصر على الأعداء، ومن خلال احتكاكها بالمجتمعات الفرنسية والغربية أدركت أن طريق النضال السياسي بالاعتماد على المواثيق والمبادئ الإنسانية الغربية بإمكانه حمل فرنسا على تطبيق هذه المبادئ والمواثيق التي تتغنى بها، وتدعي أن أسس الحضارة الغربية قائمة عليها.

لا يضع المؤرخ محفوظ قداش تعريفا محددا للشبان الجزائريين، كما لم يحدد الإطار الثقافي والسياسي لحركتهم، واكتفى بذكر مختلف الفئات التي كونت الإطار المهني لهذه الفئة ومواقفها؛ فهو يتحدث عن نخبة جديدة ظهرت في بداية القرن العشرين راحت تفرض نفسها عن طريق ثروتها، مكونة من رجال أعمال وتجار، موزعي جملة ووسطاء في أسواق الجملة، وصناعيين في مزارع الزيتون وملوك، تدعمت ببعض

المثقفين من الأساتذة والمحامين¹³، وهو هنا يربط الجانب البنيوي بالجانب الاقتصادي في إشارة إلى الطبقة البرجوازية الجزائرية التي جاء منها معظم أفراد حركة الشبان الجزائريين.

أما المؤرخ محفوظ سماتي فيتحدث عن نخبة جزائرية تكونت في المدرسة الفرنسية، لغتها وعاداتها وعقليتها تحمل البصمة الأوروبية؛ فاجأت بظهورها نهاية القرن التاسع عشر الوسط الأوروبي الذي تعود على التحوار مع نخبة تمثل المجتمع المحلي، وما ميّز هذه الجماعة من الشبان الجزائريين أنها اختلفت عن التي سبقتها في جرأة مطالبها، وكذلك في الأسلوب الذي انتهجته، والذي لا يدع أدنى شك في أن المثقفين الجزائريين قد تخلصوا من عقد النقص التي كانت تلازمهم، وأنهم أصبحوا محاورين لا يقلون قيمة ومكانة عن نظرائهم الأوروبيين¹⁴، وقد اختلفت عن نخبة التقليديين كونها ولدت في فترة الاحتلال، وبالتالي فقد ترعرعت بين عالمين مختلفين، عالم احتكت به هو المجتمع الكولونيالي وما يحمله من قيم وأفكار جديدة، إنه يمثل الحضارة الغربية التي قامت على أنقاض الحضارة العربية الإسلامية، ومجتمع ينتمون إليه لم تعد له الغلبة، فقد أسباب الرقي والسودد، وأصبح في حالة من التقهقر والانحدار أدى به للخضوع إلى سيطرة الاحتلال الأجنبي.

في تقديمه للشبان الجزائريين يضع الكاتب فيليب مي (Philippe Millet) التعليم مقياساً أساسياً لتحديد من هم الشبان الجزائريون، حيث يمزج بين الشبان الجزائريين المتخرجين من المدارس الفرنسية وأولئك الذين تخرجوا من المدارس الإسلامية الفرنسية الثلاث ومدرسة المعلمين ببوزريعة؛ فهم عنده الأطباء والأساتذة المجازين في اللغة العربية والحاصلين على شهادة المدارس الإسلامية، والضباط والمترجمين والقضاة وأعاون الإدارة والصحافيين، وببساطة شبان جزائريون من أصول فلاحية وحرفية، حاصلين على شهادة التعليم الابتدائي وآخرين، وهم قلة على شهادة البكالوريا¹⁵، ولم يختلف عنه المؤرخ الفرنسي (Paul Leroy Beaulieu) في تقديمه للقلة القليلة من النخبة المثقفة الجزائرية التي حصل أفرادها على شهادات ثانوية وجامعية، وتشبعوا بالثقافة والقيم الأوروبية؛ فكان منهم أطباء وصيادلة، محامون وقضاة، صحفيون ومعلمون، مترجمون وتجار¹⁶، أما المؤرخ شارل روبير

أجبرون (Charles Robert Agéron) فيشير إلى أن تسمية "الشبان" أطلقها الفرنسيون على اليهود المتطورين (evolués) المفرنسين، للتمييز بينهم وبين تلك الفئة من اليهود الجزائريين الذين حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم، وكانوا يتكلمون اللغة العربية¹⁷، وسرعان ما أصبحت هذه التسمية تطلق على مجموعة من المثقفين الجزائريين الذين تخرجوا من المدرسة الفرنسية، كما يشير إلى أن جول فيري سجل في تقريره عقب زيارة للجزائر في إطار ترأسه للجنة التحقيق البرلمانية سنة 1891، "أنه استمع لـ"حزب الشباب"، وهو يتحدث عن مجموعة من الشبان الجزائريين المثقفين الذين قابلهم، ووجد فيهم حسا سياسيا عاليا¹⁸، وهذا المصطلح لم يكن مألوفا في الجزائر في تلك الفترة، لكنها كانت تسمية عادية بالنسبة لرجل دولة فرنسي سبق له أن تعرف على بيان حركة "تركيا الفتاة"، وهو بهذا يطلق هذه التسمية على مجموعة من الشباب الجزائري المفرنس، اختلفوا عن غيرهم من الشخصيات التي قابلها جول فيري وأعضاء لجنته من خلال ما لمسهم فيهم من حس سياسي¹⁹، ومن خلال لغتهم وثقافتهم الفرنسية، وهيتهم التي زاوجت بين النمط الأوروبي والإسلامي.

حتى وإن كانت الدراسات التي تتناول موضوع الشبان الجزائريين على الخصوص قليلة، فمن الضروري الإشارة إلى الحديث منها، وخصوصا تلك التي تطرقت للنخبة المثقفة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية، وهنا نشير إلى كتابات الدكتور إبراهيم مهديد حول المثقفين الجزائريين، بخاصة في الجهة الغربية من الوطن، حيث تناول بالتحليل الجوانب التاريخية والاجتماعية لهذه الفئة من المجتمع الجزائري، ومن خلال هذه الدراسات نستنتج أنه ربط بين المدرسة الإسلامية-الفرنسية ومدرسة بوزريعة للمعلمين وظهور الشبان الجزائريين، ويلج على دور هذه المدارس في تخريج نخبة جزائرية مثقفة واعية بما يحيطها من تناقضات بين الذي تعلمته عن الحضارة الغربية راعية الديمقراطية وما يعيشه الشعب الجزائري من ممارسات تعسفية²⁰. أما الباحث خالد بوهند في كتابه النخب الجزائرية فيربط في تعريفه للشبان الجزائريين بين الخصائص التي سبق ذكرها، وهي التعليم والانتماء الاجتماعي، وطريقة النضال الذي انتهجته هذه النخبة في بداية القرن العشرين، وهي

عنده تلك النخبة التي ارتبط ظهورها مع مرحلة النضال السياسي القائم على الطرق القانونية²¹، وهنا ندرك دور التعليم كمحرك أساسي لهذه النخبة.

من خلال هذه الآراء المختلفة ندرك أن الشبان الجزائريون هم نخبة من المثقفين تعلموا في المدارس والمعاهد الفرنسية، واحتكوا بالمثقفين الفرنسيين، وقرأوا كتاباتهم؛ فبلوروا نتيجة لذلك وعيا بالمتغيرات الداخلية والخارجية التي كانت تحيط بهم، وسعوا من خلال قناعاتهم الثقافية والفكرية إلى إيجاد حل للمسألة الجزائرية (الأهلية) بطرق سلمية.

3- عدد الشبان الجزائريين: تؤكد جميع الدراسات التي تناولت النخبة في الجزائر وبخاصة تلك التي تناولت تاريخ حركة الشبان الجزائريين، أن عددهم كان ضئيلا مقارنة بعدد سكان الجزائر الذي بلغ في نهاية القرن التاسع عشر 3.781.100، ووصل إلى 5.588.314 بعد مائة سنة من الاحتلال الفرنسي، ويمكن أن نفسر هذا العدد القليل من الجزائريين الذي توجهوا إلى العمل السياسي بعدة أسباب، كان أولها التضييق الذي كانت تمارسه السلطات الفرنسية على الجزائريين في ظل قانون الأندجينا والمحاكم الاستثنائية والقوانين الردعية، بالإضافة إلى سياسة التجهيل التي طبقتها على الجزائريين بحيث لم تتجاوز نسبة المتعلمين الجزائريين نهاية سنة 1930م 8.9% من مجموع التلاميذ المتدربين في الجزائر²³؛ ففي سنة 1911 من بين خمس ملايين جزائري لم يوجد أكثر من 450 مثقفا، ومن هؤلاء المثقفين عدد لا يتجاوز تعليمهم تعليم مستمع، أما أصحاب الشهادات فقد بلغ عددهم خمسا وعشرين (25) جزائريا سنة 1910م، ويخبرنا المؤرخ غي بارفيلي أنه قبل سنة 1914 كان عدد ذوي الشهادات ضئيلا، وتكون هذا العدد أساسا من المحامون والأطباء والأساتذة والضباط، وقبل سنة 1939 لم يتجاوز عددهم 200 فردا، منهم: 41 طبيبا، 22 صيدليا، 9 أطباء أسنان، 70 محاميا، 10 أساتذة، 3 مهندسين²⁴، وإذا عدنا إلى المنخرطين في جمعيات ونوادي الشبان؛ فإن عددهم حسب المؤرخ أجيرون لم يتعدى 1200 على أكثر تقدير، أما الأعضاء الفعليون فهم أقل بكثير، وهم بالأساس من المثقفين من أصحاب المهن الحرة ومن التجار والصناعيين الجزائريين²⁴.

أما فرحات عباس فيرجع هذا العدد القليل من المثقفين الجزائريين إلى الاستعمار حيث كتب قائلا: "فلو أراد الاستعمار لكان عدد المتعلمين من اصحاب الشهادات أكثر، ولا بد أن نشير إلى أن هذا العدد الضئيل يمكن أن نرجعه إلى عزوف الكثير من الجزائريين وخاصة المتعلمين منهم عن ممارسة العمل السياسي؛ فكثير منهم كان يعود إلى حياة اجتماعية بعيدة عن صخب السياسة ومتاعها".²⁵

4- اختلاف الآراء حول تاريخ وظروف ظهورهم: مع بداية القرن العشرين تغير أسلوب النضال في الجزائر المحتلة، حينما بدأ رجال النخبة يتحركون ويتحالفون على المستوى الوطني ضد الإدارة الاستعمارية ودسائسها في بلدهم، ويعود هذا التحرك والتنظيم السياسي إلى رجال تعلموا في المدارس الفرنسية، وأصبحوا يشعرون بانعدام المساواة بين الجزائريين والأوروبيين، وعدم وجود أي تمثيل سياسي جاد لأبناء البلد الأصليين في المجالس المحلية المنتخبة؛ ففي بداية القرن انتهج الجزائريون طرقا سياسة جديدة تركز ليس على مقاومة الغزاة الأجانب بالسلاح فقط، ولكن أيضا على الاتصال والقيام بضغوطات متوالية على حكومة باريس لإنصاف الجزائريين، وتمكينهم من الحصول على مقاعد في البرلمان الفرنسي، والسماح لهم بالمشاركة في الانتخابات المحلية، والاعتراف بالشخصية الجزائرية.²⁶

دفعت ظروف الاحتلال وما نجم عنها من مآسي للجزائريين الكثير من أفراد النخبة الجزائرية المثقفة إلى اتخاذ مواقف واضحة وظاهرة، في محاولة لتغيير الواقع أو التخفيف من قسوة مظاهره، وهو الأمر الذي أكد عليه فرحات عباس عندما كتب: "إن الولايات التي أصابت وطني هي التي قذفت بي إلى الميدان السياسي، ولو كانت فرنسا وجدت حولا عادلة للمشاكل التي جابهناها فلربما اكتفيت بمشاكلي وأشغالي الشخصية".²⁷

تختلف المصادر والمراجع حول تحديد الفترة الزمنية التي ظهرت فيها هذه النخبة الجزائرية التي أصبح يطلق عليها تسمية "الشبان الجزائريون"، وفي غالب الأحوال هذا الاختلاف راجع إلى التباين في نظرة المؤرخين لهذه النخبة الجزائرية؛ فهناك من ينظر إليها على أنها نخبة سياسية، وبالتالي فهو يحدد فترة ظهورها ببداية نشاطها على الساحة السياسية الجزائرية، بينما يعتبر آخرون أن ظهورها مرتبط

ببداية نشاطها سواء كان هذا النشاط سياسيا أو ثقافيا؛ فالمؤرخ محفوظ سماتي يتحدث عن نخبة جزائرية تكونت في المدرسة الفرنسية، وتحمل لغتها وعاداتها وعقليتها البصمة الأوروبية، فاجأت في ظهورها نهاية القرن التاسع عشر الوسط الأوروبي الذي تعود على التحاور مع نخبة تمثل المجتمع المحلي، وما ميز هذه الجماعة من الشبان الجزائريين أنها اختلفت عن التي سبقتها في جرأة مطالبها، وكذلك في الأسلوب الذي انتهجته، والذي لا يدع أدنى شك في أن المثقفين الجزائريين قد تخلصوا من عقد النقص التي كانت تلازمهم، وأنهم أصبحوا محاورين لا يقلون قيمة ومكانة عن نظرائهم الأوروبيين²⁸، وهنا يتفق مع المؤرخ زهير إحدادن الذي يربط تاريخ ظهور الشبان الجزائريين بتاريخ ظهور جريدة "الحق" العنابية (1893)؛ فقد شكل مجموعة من الجزائريين نواة مثقفين التفت حول الجريدة للتعبير عن مطالبها، وكان على رأس هذه المجموعة خليل قايد لعيون الذي اتجه إلى العمل السياسي بعد تجربته القصيرة بالجريدة²⁹، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤرخ أجيرون الذي ربط ظهور حركة الشبان الجزائريين على مسرح العمل السياسي ببداية القرن العشرين، التاريخ الذي زارت فيه لجنة تحقيق برلمانية الجزائر، والتقى أعضاؤها بعض المتحضرين (modernistes) الجزائريين المتفتحين على المسائل السياسية والمهتمين بالإصلاحات؛ ففي 30 جوان 1900 قدمت مجموعة من الشباب المتفرنس من مدينة عنابة مذكرة تشبه تلك التي قدمها الشبان عام 1912، حرّر هذه المذكرة خليل قايد لعيون وهو أحد أعيان مدينة عنابة باسم "شباب عنابة المسلم"، طالب من خلالها بحق الانتخاب للمثقفين والصناعيين والتجار الجزائريين، وحق ممثلي البلدية من الأهالي انتخاب نواب للرئيس منهم، وكذلك اختيار رئيس البلدية³⁰.

تتفق بعض من المصادر على أن تاريخ ظهور الشبان الجزائريين على الساحة السياسية مرتبط بسنة 1892، وهو التاريخ الذي زار فيه جول فيري الجزائر بصفته رئيسا للجنة مجلس الشيوخ التي مكثت في الجزائر مدة شهرين تبحث في أوضاع الجزائريين؛ ففي هذه السنة التقى بمجموعة من الشبان الجزائريين فوجدهم محاورين جيدين، وعلى دراية واسعة بأوضاع شعبيهم، كما لاحظ عليهم المعرفة الواسعة والقدرة على التحاور بلغة فرنسية سليمة وجيدة، وتشير الكثير من المراجع

أن جول فيري كان أول من أطلق تسمية "الشبان الجزائريون" على هذه المجموعة من الشباب في تقريره الذي وضعه بعد عودة لجنة التحقيق إلى باريس، والمعروف أن بعض الجزائريين ومنهم المحامي بوضربة والمترجمين بوقطاري وبن بريهمات والدكتور مرسل³¹ اغتنموا فرصة وجود لجنة جول فيري فتقدموا إليها بمطالب قوية، من ذلك تحرير نظام الضرائب وإصلاح التمثيل النيابي واستعادة القضاء الإسلامي³²، ويمكن أن نفهم ظهور هذه النخبة في هذا التاريخ من خلال الظروف السياسية التي عرفتها الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين؛ ففي الفترة الممتدة من 1891 إلى 1901 بدأت مرحلة جديدة من السياسة الكولونيالية في الجزائر مع تدخل بعض البرلمانيين الفرنسيين بتأثير من الصحافة الباريسية التي تصدرت صفحاتها تجاوزات الكولون الجارية بالجزائر، وحملت هذه الحملة مجلس الشيوخ سنة 1891 على تكوين لجنة تحقيق وتحري مهمتها الأساسية تدعيم سلطات الحاكم العام بالجزائر أمام تدخل اللوبي الكولونيالي، بالإضافة إلى التفكير في إجراء إصلاحات للتخفيف من معاناة الجزائريين، انتقلت هذه اللجنة إلى الجزائر واستمعت خلال 52 يوم لشكاوى العديد من الجزائريين من الأعيان والمثقفين، بمساعدة بعض الليبراليين الفرنسيين كالحاكم العام جول كامبون (Jules cambon)، وفعلا توصلت اللجنة إلى تشخيص أوجاع الجزائريين دون أن تتوجه باللوم أو الانتقاد لدور الكولون في ذلك، كما لاحظت حالات الفقر والبؤس التي كان عليها الجزائريون، لكن الحاكم جول كامبون لم يستطع تجاوز سلطة الكولون لتطبيق الإصلاحات التي دعت إليها اللجنة إلا في حدود ضيقة جدا، ولما عين شارل جونا (Jonnard Ch.) عام 1901 كحاكم للجزائر بدأ سياسة جديدة تعتمد أولا على تطوير المستعمرة اقتصاديا، الأمر الذي سيؤدي إلى رضا الكولون، ثم سعى إلى مشاركة الجزائريين في النشاط السياسي وإخراجهم من عزلتهم، وذلك عن طريق تطوير التعليم الأهلي، وإحداث تغيير في الأحكام والممارسات الردعية التي أتت بعد ثورة 1871، وبخاصة منها قانون الإنديجينا، وهي السياسة الانفتاحية التي وجدت فيها النخبة الجزائرية وأعيانها ما يرضي بعض مطامعها وطموحاتها³³.

يؤكد الدكتور عبد القادر جغلل على نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تاريخا لظهور حركة جماعة الشبان الجزائريين. ذلك أنه في هذه المرحلة

بدأت أسس المجتمع الجزائري تستقر بشكلها الجديد بعد عملية الهدم وإعادة التكوين؛ فقد تميزت هذه العملية بانحلال الجماعات الاجتماعية السابقة للاستعمار وزوالها، وظهور قوى اجتماعية ذات طابع سياسي بالدرجة الأولى أنتجت الرأسمالية الاستعمارية، كما تميزت هذه الفترة بهيجان سياسي شهد المظاهر الكبرى والأخيرة لمقاومة الرفض، وكذلك الخطوات الأولى للشكل الجديد من الصراع السياسي، حيث بدأ يتكون الرأي العام الجزائري الذي تأثر بالتيارات الإيديولوجية التي كانت تحرك العالم العربي الإسلامي، بما كانت تحمله إلهم صحف الحركة الوطنية المصرية التي ظلت تدخل خفية إلى الجزائر، وصدى زيارة محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903م³⁴، وإذا أخذنا بما كتبه المؤرخ أبو القاسم سعد الله فإن الجنرال لارشي لاحظ نفس الروح التي لمسها جول فيري سنة 1899، حيث تحدث عن شبان جزائريين قائلا: "كانوا مستعدين بشكل واضح للنشاط السياسي، وإن المؤامرات والاضطرابات التي جرت في الجزائر قد جعلت العرب يتشاورون فيما بينهم للقيام بنشاط سياسي..."³⁵.

ترجع مصادر أخرى ظهور هذه النخبة من المثقفين الجزائريين إلى سنة 1908 تاريخ أول رأي سياسي عبرت فيه مجموعة من الشبان الجزائريين عن مواقف واضحة من مسألة إحصاء الشبان الجزائريين في قوائم التجنيد الإجباري؛ فقد توفرت في هذه الفترة من تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر ظروف ساعدت إلى حد ما بتبلور الوعي السياسي لدى النخبة الجزائرية المثقفة، كان أبرزها زيارة الرئيس الفرنسي لوبي للجزائر من 15 إلى 26 أبريل 1903م، والذي أوضح في خطبه للجزائريين والفرنسيين بأنه كان شخصيا في صالح معاملة الجزائر كمستعمرة مع تركها تحتفظ بتقاليدها الخاصة ودينها وقوانينها وشخصيتها³⁶، ثم قال مخاطبا الجزائريين ومشيرا إلى مشاركتهم في كل من الحروب الفرنسية في أوروبا وإفريقيا وآسيا: "...إن دماهم قد سالت على ميدان الحروب الفرنسية مع دماء الجنود الفرنسيين بالقارة الأوروبية... في الهند الصينية وفي مدغشقر"، مؤكدا لهم بأن "فرنسا ستتركهم أحرارا يبقون على حضارتهم الخاصة"، ومعلنا لهم أيضا "بأن فرنسا تضمن لهم ممارسة جميع الحريات التي هي عزيزة عليهم بما في ذلك الإبقاء على تقاليدهم القديمة"³⁷، إضافة إلى هذا شهد العالم العربي الإسلامي بتاريخ 23 جويلية 1908 انتصار ثورة تركيا الفتاة حيث

نجاح الشبان الأتراك في تحييد السلطان عبد الحميد الثاني، وتعيين حكومة وبرلمان جديدين، وهي الحركة القومية العلمانية التي استهدفت تحقيق مبادئ الحرية الفردية، وإقامة نظام دستوري، والقضاء على الإقطاع، والتحرر من السيطرة الأجنبية³⁸؛ فكانت هذه الثورة محل إعجاب وتقدير الكثير من الشباب الجزائري المثقف.

أما المؤرخ عمار بوحوش فينسب ظهور هذه النخبة في هذه الفترة بالذات إلى الأجواء التي سادت في بداية القرن العشرين، ومنها بوادر النهضة الفكرية التي عرفتها البلاد، والتي اقترنت بنشاط هائل لحركة الشبان الجزائريين في الميدان الثقافي وبخاصة في المدن الكبرى، واتخذت مظاهر مختلفة شملت نواحي متعددة من الإبداع الفكري والأدبي، وهي المظاهر التي جعلت هذه النخبة من المثقفين الجزائريين تحتك وتختلط بالمفكرين الفرنسيين، وتتأثر بالأفكار والإيديولوجيات الليبرالية، الأمر الذي أدى إلى ظهور عناصر فاعلة تدعي فهم السياسة من خلال معارضتها العلنية للسياسة الفرنسية في الجزائر، حين صدور مرسوم 17 جويلية 1908 الذي نص على إحصاء الشبان الجزائريين الذي بلغوا سن الثامنة عشر، وذلك بقصد تجنيدهم في الجيش الفرنسي، ومن هنا بدأ رواد الحركة الوطنية الجزائرية يبحثون عن حلول جديدة للمسألة الجزائرية، وتنظيم أنفسهم لإبلاغ مطالبهم إلى المسؤولين في باريس³⁹؛ فشهدت الجزائر العاصمة سنة 1908 إعلان النخبة عن ميلاد نواة هامة هي: "لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين"، وكان من أبرز عناصرها رائد النخبة اللائكية الشريف بن حبيلس وعمر بوضربة والحاج موسى والدكتور ابن التهامي، وكانت هذه الجماعة السباقة لأخذ مبادرة الدفاع عن مصالح الجزائريين، وذلك لغياب التمثيل الشرعي الوطني باستثناء المحاولات اليتيمة التي بادر بها بن رحال وزميله الدكتور محمد بن العربي⁴⁰، وفي شهر أكتوبر قدمت المجموعة احتجاجا إلى الحكومة الفرنسية على قرار تجنيد الشباب الجزائري، ودعت إلى إلغائه وعدم قبوله إلا إذا حصل الجزائريون على حقوق أساسية تتمثل في تعديل قانون الأندجينا وإلغاء بعض بنوده، وتخفيض العقوبات الواردة فيه، ورفع نسبة التمثيل في الانتخابات المحلية، والمساواة بين المسلمين والأوروبيين⁴¹.

ربطت كتابات تاريخية أخرى ظهور حركة الشبان الجزائريين بالظروف السياسية التي عرفها العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولعل الشيء المثير للانتباه هو أن بروز حركة "الشبان الجزائريين" في القرن العشرين تزامن مع وجود حركة الشبان التونسيين⁴²، التي كانت على اتصال وثيق بقيادة النهضة الإسلامية في المشرق العربي، وكذلك الشبان المصريين والأتراك. هذه الحركات التي تزعمها نخبة من الشبان الذين تلقوا تعليمهم في أوروبا، جعلهم يقدمون على اقتباس أساليب التفوق الأوروبي، ويعلمون الثورة على التخلف والجهل الذي أصبحت تعيشه البلاد العربية الإسلامية مما جعلها عرضة للاستعمار الأجنبي، لكن اللافت للانتباه أن هذه الحركات أخذت في بدايتها طابعا توعويا ثقافيا، ثم تحولت إلى حركات سياسية داعية إلى التغيير بالوسائل السلمية في إطار حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وهو الأمر الذي يمكن أن نسقطه على حركة الشبان الجزائريين التي بدأ نشاطها في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر بتأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية والرياضية في محاولة منها تحسين أوضاع الشعب الجزائري الثقافية والاجتماعية بالدرجة الأولى، ثم اتخذ نشاط "الشبان الجزائريين" شكل حركة إصلاحية تدعو إلى قيام نهضة عربية إسلامية، وهو الأمر الذي جعل كلا من المستشرقين إدمان دوتي (Edmond Doulté) وجورج مارسي (Georges Marçais) يطلقان عليهم تسمية "الشبان الأتراك"⁴³، لأن نشاطهم ومطالبهم والظروف التي ساعدت على ظهورهم تقاطعت مع نظرائهم في تونس وفي مصر وخاصة في تركيا، ولا سيما فكرة التقدم ونشر التعليم والمعرفة، وفصل الدين عن الدولة (العلمنة) وتحرير المرأة، واعتقادهم أن السبيل الوحيد لتمكين بلدهم من اللحاق بركب الحضارة يكون من خلال تبني القيم المعنوية والثقافية والروحية التي انتشرت بأوروبا عقب الثورة الفرنسية، وكان ذلك نتيجة لإطلاعهم على كتب المفكرين الفرنسيين أمثال موليير وراسين وفولتير وجون جاك روسو وفكتور هيجو.

تكاد تتفق الكثير من المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الحركة الوطنية على أن سنة 1912 هو تاريخ ظهور حركة الشبان الجزائريين بوصفهم مجموعة من المثقفين الجزائريين العارفين بالسياسة وأمورها، ومطلعين على أحوال أصحابها

وأساليهم؛ ففي هذه السنة تأججت الأوضاع، وكثرت العرائض الداخلية، ولاحت في الآفاق الإضرابات، وبدأت حركة الاحتجاجات كرد فعل من الشعب الجزائري على صدور قانون التجنيد الإجباري، وحينها سعت النخبة الجزائرية كعادتها إلى المبادرة والبحث عن مخرج لهذه الوضعية الحرجة والمتأزمة التي لم تكن في صالح فرنسا ولا في صالحها هي باعتبارها صاحبة الامتيازات، ولذلك بدأت مجموعة من الشبان الجزائريين أطلقت على نفسها حركة "الجزائر الفتاة" وأحيانا "حركة الشباب"⁴⁴ نشاطها باستحداث أسلوب جديد للنضال استنبطته بحكم ثقافتها وأفكارها الأوروبية وتأثير القوانين الاستعمارية عليها⁴⁵، اختلف من حيث الأسلوب واللغة، وكذلك الخطاب عن تلك النخب التي سبقها.

عارض "الشبان الجزائريون" بكل صراحة مرسوم 3 فيفري 1912 المثير للجدل، وأعلنوا أنهم لن يشجعوا الشباب الجزائري على قبول التجنيد الإجباري دون أن يتلقوا تأكيدات من السلطات الفرنسية بمنحهم الحقوق السياسية مقابل ضريبة الدم، وبالفعل فقد تمكنت حركة "الشباب الجزائري" من التوصل إلى تشكيل وفد يضم مجموعة من الأسماء المعروفة آنذاك أمثال: الدكتور ابن التهامي والحاج سعيد وبوشريط علاوة والدكتور موسى وغيرهم بحيث مثل الوفد مناطق مختلفة من الجزائر. سافر في رحلة إلى باريس وقدم عريضة في ماي 1912م احتوت على جملة من المطالب على رأسها اعتبار قانون التجنيد الإجباري، معاديا للديمقراطية لأنه لا يساوي بين كل أبناء فرنسا، بالإضافة إلى مناقشة مدة الخدمة العسكرية وتعويض الأهالي وإلغاء قانون الأندجينا.

شكلت هذه المقابلة تحدي للجالية الأوروبية التي سعت لإحباط مساعي النخبة الجزائرية. كذلك ألف محمد بن رحال وفدا من أعيان ونواب الجزائر سافر بدوره إلى باريس ليعبر عن رفضه لقانون التجنيد الإجباري.

هذا الاختلاف حول تاريخ ظهور حركة الشبان الجزائريين يعود أساسا إلى اختلاف الكتاب والباحثين حول تاريخ بدء نشاط هذه النخبة السياسي، وهذا لا يعني أنه لم يكن لها وجود قبل هذا التاريخ؛ فالمسار التاريخي لأحداث السياسة في الجزائر يعرفنا أن وجود هذه النخبة سبق ظهورها السياسي ظهورها على الساحة الثقافية.

ويمكن القول أنه كان لأعضاء الحركة نشاط ثقافي واسع في المدن الكبرى؛ فلأنهم كانوا يجيدون اللغة الفرنسية، ويختلطون بالمفكرين الفرنسيين اكتسبوا وعياً وأساليب جديدة في النضال، وصبّ نشاطهم في نشر العلم والمعرفة بين أهلهم وكذلك توعيتهم، وخلق جو ثقافي جزائري من خلال اقتباس مختلف ألوان النشاط الثقافي والفكري لدفع عجلة التطور في الجزائر التي اقتصر النشاط الثقافي والفكري فيها على المعمرين الأوروبيين، كما نلاحظ أن تواريخ ظهور الشبان الجزائريين ارتبط في كل مرة بتحدي سياسي هام، أدى إلى تحول هذه النخبة المثقفة إلى النشاط السياسي أو بالأحرى الظهور من خلال مواقف سياسة، ومهما كان تاريخ ظهورهم على الساحة السياسية فإن وجودهم كنخبة مثقفة سبق ظهورهم السياسي من خلال دورهم التعليمي والتوعوي عبر الجمعيات والنوادي التي أسسوها وإنتاجهم الفكري والثقافي، ثم جاء نضالهم السياسي ضمن سياق الأهداف التي سطرورها لتغيير الأوضاع من أجل جزائر فرنسية متطورة ومتحضرة.

لكن لا بد أن نشير أن مظاهر العمل السياسي لا يمكن أن نحصرها في بداية القرن العشرين، ونربطها بظهور جماعة "الشبان الجزائريين"، حيث يمكن أن نعود بمظاهر النشاط السياسي الجزائري إلى بداية الاحتلال الفرنسي، مع ظهور "لجنة المغاربة"، هذه المجموعة من أعيان مدينة الجزائر التي حاولت أن تطلع أصحاب الرأي في باريس على الأوضاع الحقيقية في الجزائر، بعرض تجاوزات الجيش الفرنسي، وممارسات السلطة الفرنسية في بلدهم، في محاولة منها لحمل فرنسا على احترام بنود معاهدة 5 جويلية 1830م⁴⁶، وهكذا بدأت مظاهر التعبير السياسي عندما تحركت الأوساط التقليدية والمثقفون والمنتخبون في نهاية القرن التاسع عشر في عرائض وشكاوى مرتبطة بقضايا تمس الدفاع عن الإسلام والشريعة والسرقات وأملاك الحبوس وتجاوزات "القياد"، والمطالبة بتغيير قانون العقار، والتخفيض من الضرائب وإلغاء المحاكم الاستثنائية، كما طالبوا بالحفاظ على اللغة العربية والمزيد من السلطات للقاضي، وبمدارس لأبناء الأهالي.

كانت عريضة مثقفي مدينة قسنطينة سنة 1887 التي أمضاها ألف وسبعمئة شخصية، بعضهم أعضاء بالمجلس البلدي لقسنطينة وبعضهم أعضاء في المجالس

العامة وفي الغرفة التجارية، وكان بعضهم شيوخا وأئمة ومعلمين ومدرسين وأعيانا بالمدينة وملاكا، تجارا وصناعيين⁴⁷ وغيرها من العرائض، دليل على أن النخبة الجزائرية لم تربط ظهورها على الساحة السياسية بحدث أو ظاهرة ما، فكل ما حدث أنها وفي ظل سياسة فرنسا الإقصائية التعسفية كانت النخب الجزائرية تبحث عن ثغرات في هذه السياسة لمناقشة القضايا الخاصة بهم.

وفي بداية القرن العشرين وجدوا في قضية انخراط الجزائريين بالخدمة العسكرية بصفة إجبارية القضية التي أثارت مناقشات حادة في الجمعية الوطنية الفرنسية، وكذلك لدى الرأي العام طيلة سنوات متتالية مدخلا لولوج الساحة السياسية الجزائرية، وهكذا فرضت حركة الشبان الجزائريين نفسها كممثل ومتحدث باسم الشعب الجزائري لمناقشة المسألة الأهلية.

5- أهم مميزاتهم: إن أهم ما ميز الشبان الجزائريين خصوصية مطالبهم، من خلال دفاعهم عن حقوق الجزائريين السياسية والاجتماعية، ودعوتهم للمساواة مع الأوروبيين، وكذا التخفيف من المعاملة العنيفة والمهينة للأهالي الجزائريين، ويرجع لهم الفضل في البدء بطرح بعض أوجه المسألة الجزائرية (الأهلية) في إطار سياسي واضح المعالم.

- اختلف الشبان الجزائريين عن النخبة المحافظة كونهم ولدوا في فترة الاحتلال، وبالتالي فقد ترعرعوا بين عالمين مختلفين: عالم احتكوا به هو المجتمع الكولونيالي، وما يحمله من قيم وأفكار جديدة، إنه يمثل الحضارة الغربية التي قامت على أنقاض الحضارة العربية الإسلامية، ومجتمع انتموا إليه لم تعد له الغلبة، فقد أسباب الرقي والسودد، وأصبح في حالة التقهقر والانحدار خصوصا بعدما خضع لسيطرة الاحتلال الأجنبي، هكذا تبلورت شخصيتهم من خلال ما اكتسبوه من مهارات ومعارف وعلاقات صاغها محيطهم المزدوج، وكان للمدرسة الفرنسية دور كبير فيه.

- شكلت المدرسة الفرنسية عند الشبان الجزائريين العامل الأساسي الذي بلور شخصيتهم؛ فتميزوا عن غيرهم من النخبة التقليدية كونهم تلقوا تعليما وثقافة جديدة، هي في كثير من جوانبها جزء من الثقافة التي كان يتلقاها الشبان الأوروبيون في الجزائر؛ فقد ظهر الشبان على الساحة السياسية في مرحلة عرفت تقلص عدد

المعاهد الإسلامية في الجزائر، وتشريد ونفي أصحاب الرأي والتأثير السياسي، وبروز دور المدرسة الفرنسية في آلية صنع النخب وكأداة فاعلة لترسيخ الاحتلال على الأرض، وسعي السلطات الفرنسية لتكوين نخبة جزائرية متشعبة بالثقافة الفرنسية، حتى تجعل منها فئة مؤثرة على مجتمعها من خلال برامج تعليمية غريبة عن مجتمع له تاريخه وثقافته وتقاليدته.⁴⁸

- سمحت لهم معرفتهم الجيدة باللغة الفرنسية التي كانوا يتكلمونها بكل سهولة وطلاقة مقارنة بمن سبقهم من النخب الجزائرية⁴⁹ بأن يكونوا محاورين على قدر كبير من الثقافة ودراية بما يدور حولهم من أحداث وتغيرات؛ فغلبت اللغة الفرنسية على أحاديثهم وعلى كتاباتهم بحكم نشاطهم السياسي وتعاملهم المستمر والدائم مع الإدارة الفرنسية. هذه اللغة التي اكتسبوها من المدرسة الفرنسية غيرت مسار حياة الكثير منهم، وبلبلت حياتهم العائلية وطريقة تفكيرهم. الأمر الذي جعلهم أقرب إلى المجتمع الفرنسي الذي سهل عليهم عملية تقبل الحضارة الغربية بوصفها حاملة لقيم الثورة الفرنسية النبيلة والأفكار الحقوقية التي نشرتها في العالم بالإضافة إلى المعرفة.⁵⁰

- بالإضافة إلى اللغة أطلقت هذه التسمية على مجموعة من الشباب الجزائري المتعلم الذي تبني الكثير منهم اللباس الأوروبي بدون حرج؛ فقد لبسوا البدلة الأوروبية وتخلوا عن اللباس العربي، وعوضوا العمامة بالطربوش (Féz) الذي كان يرتديه الشبان الأتراك، وهو الأمر الذي جعل الصحافة الفرنسية تطلق عليهم تسمية "الشبان الأتراك" على غير عادة الأوروبيين في تغطية الرأس أو عدمه؛ فقد تخلوا عن لبس الزي والبرنوس الجزائري الذي تميزت به النخبة التقليدية. والمعروف أن ارتداء اللباس الأوروبي قد انتشر بين الكثير من الشباب العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وخصوصا عند هؤلاء الذين تعلموا في المدارس والمعاهد الأوروبية، كما أن لبس اللباس الأوروبي بالجزائر بدأ ينتشر في أوساط العمال الذين استبدلوا لباسهم التقليدي بلباس أوروبي يساعدهم ويسهل عليهم العمل، بينما ظل لبس القبة مقتصرًا على الأوروبيين.⁵¹

ومرة أخرى لا يمكن أن نعمم هذه الأوصاف على كل الشبان الجزائريين؛ فقد تميز بعضهم بالمحافظة على مظهرهم ولباسهم التقليدي، حيث يذكر الباحث عبد القادر

جفلول أنه في أواخر الحرب العالمية الأولى كانت أعداد كبيرة من المعلمين المسلمين المتخرجين من دار المعلمين متشبثين بعاداتهم العربية ولباسهم العربي من سروال وجلابية وبرنوس، وكانوا يترددون على المساجد، ويقطعون بانتظام دروسهم بعد الظهر لتأدية واجب الصلاة⁵¹، رغم السياسة التعليمية الصارمة التي انتهجتها دار المعلمين التي سعت أن تجعل من هذه المدرسة رمزا للاندماج الجزائري في الثقافة والحضارة الأوروبية.

ويخبرنا المؤرخ محفوظ قداش أن التقارير الاستخباراتية الفرنسية عن الأمير خالد كانت تتحدث عن تباهي الأمير خالد بلبس الزي العربي الجزائري، وحرصه على ارتدائه في المناسبات الرسمية⁵³، وهو الضابط السابق في الجيش الفرنسي، والمتخرج من أرقى المدارس العسكرية الفرنسية، هكذا لا يمكن أن نجزم بأن اللباس الأوروبي كان السمة الخالصة لدى الشبان الجزائريين؛ فقد زواج بعضهم بين اللباس الأوروبي واللباس الجزائري حرصا منهم على هويتهم العربية الإسلامية.

الخاتمة: مع بداية القرن العشرين ظهرت حركة الشبان الجزائريين على الساحة السياسية بالجزائر، وهيمنت على المشهد طيلة ربع قرن من النشاط، واستطاعت أن تغير الكثير من المفاهيم والأساليب في ميدان النضال ضد الاستعمار الفرنسي، حيث حولت المواجهة المباشرة والمسلحة مع المستعمر إلى حوار أساسه القيم التي قامت عليها فرنسا بعد ثورتها، وهي الأخوة والمساواة والعدل، وهي القيم التي حرم منها الجزائريون، وظلّ الفرنسيون يدعون أنهم جاءوا لتحرير الجزائريين من الهيمنة العثمانية، ولنشر قيم العدالة والمساواة بينهم.

لقد أراد الشبان الجزائريون وضع فرنسا أمام مسؤوليتها اتجاه القيم النبيلة التي كانت تدعّمها، واتجاه الشعب الجزائري الذي جاءت لتعريفه بأسباب التقدم والتطور؛ فدعوها إلى المساواة بين كل مكونات المجتمع في الجزائر دون تمييز، كما دعوها إلى إصلاح أوضاع الجزائريين عبر إلغاء كل القوانين والإجراءات التي تجعل الجزائريين رعايا من الدرجة الثانية في وطنهم.

الهوامش:

1. journal El Misbah, 22 Juillet 1904

2. Van Gennep (Arnold), . En Algérie. Mercure de France, Paris . 1916, p198

3. ضد (كاسم وسعي). الفكر العربي وتحديات الحداثة. منشورات ليل الغربية. مارس 2009، ص 32.
4. مناصرة (يوسف). الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939. المؤسسة الوطنية للكتاب ن الجزائر، 1988. ص 11-5. شلغوم (جميلة). واقع السوسيولوجيا في الجزائر في ظل الحداثة وما بعد الحداثة. دراسة ميدانية لعينة من أساتذة علم الاجتماع بجامعة ورقلة وبسكرة. رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، 2012-2013، ص 97
6. بوزيدي (الهاوي). الأنتلجانشيا الجزائرية بين الجماعة الوطنية والكائن الثقافي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة وهران، العدد 7 جانفي 2012. ص 301-7. قداش (محفوظ). الأمير خالد. وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 111.
8. benhabilles, (chérif), l'Algérie française vu par un indigène. Edt Crintale, Alger, 1914, p107
9. قنان (جمال). نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 268
10. بوحوش (عمار). التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962. دار البصائر، الجزائر، 2008. ص 189
11. مناصريه (يوسف). نفس المرجع، ص 109-12. أبو القاسم (سعد الله). تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. ج 2، ط 2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر، 1983، ص 97-13. قداش (محفوظ). تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. الجزء الأول 1919-1939. ترجمة أحمد بن البار، دار الأمة، ص 98
14. Smati (Mahfoud). les Elites Algériennes sous la colonisation. T 1. dahlab, Alger, 1999, p227
15. Philippe, (Millet) Les jeunes Algériens. La revue de Paris, 20e années, tome 6 Nov-déc. 1913. p158-
16. Beaulieu (M). paul Leroy, . La France dans l'Afrique du nord, indigènes et colons. In Revue des deux mondes, 33 vol, 5e période, mai, juin 1906, p60-61
17. Agéron, (Charles Robert) Les Algériens musulmans et la France 1871-1919. Tome 1. PUF. Paris. 1968. p 1030.
18. Ageron, (Charles Rober)t. Jules ferry et la question Algériennes en 1892. In Revue d'histoire moderne et contemporaine, Tome X, Avril- juin 1963, p130-19. Agéron (Charles Robert).. Les Algériens musulmans... Op cit, p1031.
20. مهديد (إبراهيم). المثقفون الجزائريون في عمالة وهران. خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850-1912. منشورات دار الغرب، وهران، 2006. صص 43-45-21. بوهند (خالد). النخب الجزائرية. دراسة تاريخية واجتماعية. 1892-1942. دار القدس، وهران، 1015. صص 224-225
22. Pervillé (Guy). Les Etudiants Algériens à l'université Française 1880-1962. OPU, Alger, 1975, p39-23. Colonna, (Fanny). Instituteurs Algériens 1883-1939. OPU, Alger; 1975, p50
24. Ageron, (Ch.R). Le Mouvement jeune Algériens de 1900-1923. in Bulletin de la société moderne. N°2, 1962, p9
25. فرحات (عباس). ليل الاستعمار. ترجمة أبو بكر رحال، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 67.
26. بوحوش (عمار). نفس المرجع، ص 202-27. فرحات (عباس). الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم، الشاب الجزائري. وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 126
28. Smati (Mahfoud). op.cit. p, 227-29. Ihaddaden (Zohir). Regards sur l'histoire de l'Algérie. les éditions at turath, 2002, Alger p76-30. Prochaska, (David). Making Algeria French: colonialism in Bone, 1870-1920. Cambridge Université press, Paris, La maison des sciences de l'Homme, 2002, p 233
31. قداش (محفوظ)، جيلالي صاري. الجزائر صمود ومقاومات 1830-1962. ترجمة أوزاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، لجزائر، 2012، ص 21-32. أبو القاسم (سعد الله). الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930. ج 2. المرجع السابق، ص 77
33. Ihaddaden (Zohir). Histoire de la presse indigène des origines jusqu'à 1930. Enal; Alger. 1983, p120.

34. جغلول (عبد القادر). تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 106
35. أبو القاسم (سعد الله). الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 98-36. نفس المرجع. ص 89-37. نفس المرجع. ص 90
38. طقوش (محمد سهيل). تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة. دار النفائس، بيروت، 2008، ص 506
39. بوحوش (عمار). نفس المرجع، ص 211-40. مبادرة محمد بن رحال والدكتور محمد بن العربي: سافرا إلى باريس سنة 1891
- لينا قشا البرلمان الفرنسي حول المشاكل الجزائرية، كما قدما مذكرة تناولت مجموعة من المطالبات الإصلاحية. تضمنت على الخصوص إصلاح التعليم الخاص بالجزائريين وتعميمه بالإضافة إلى تحسين أوضاع الجزائريين الصحية والمعيشية. --
41. بوحوش (عمار). نفس المرجع، ص 203-42. حركة الشباب التونسي: ظهرت هذه الحركة في بداية القرن 20، وبادرت في المرحلة الأولى إلى القيام بعمل نخبوي تمثل في تقديم مطالب لها صفة ثقافية واجتماعية، سرعان ما أخذ نشاطها بعدا سياسيا. أنحصرت في الوسط الحضري من سكان العاصمة تونس والتحق بها بعض المثقفين التونسيين ثم توسعت دائرة تأثيرها لتكتسح الجماهير الشعبية وتعتمد النضال السياسي منذ أواخر الثمانينات من القرن 19. اعتبرت سنة 1907 تاريخ ميلاد الحركة (حركة الشباب التونسي) ذلك أن قبلها كانت وليدة نشاط ثقافي توعوي بدأ قبل سنوات بقيادة جريدة " الحاضرة " التي تأسست سنة 1888. ظهور جمعية الخلدونية 1896. وجمعية قدماء الصادقية 1905. (انظر توفيق العيادي. تونس عبر العصور، الجزء 3: الحركة الوطنية ودولة الإستقلال. مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس 2005، ص 65) --
43. Agéron.(Charles Robert) . De l'Algérie Française à l'Algérie Algérienne. Génese de l'Algérie. Edt, Bouchène, Paris, 2005, p 110
44. بوعزيز (يعي)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال النصوص 1912-1948، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 23. -- 45. مناصرية (يوسف). نفس المرجع، ص 11-46. خوجة (حمدان بن عثمان)، المرأة. ترجمة محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1975. المقدمة وكذلك أبو القاسم سعد الله. تاريخ الحركة الوطنية.. ج 1
47. الأشرف (مصطفى). الجزائر، الأمة والمجتمع. ترجمة: حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 238
48. Abderrezak, (Bouhara) . Les Viviers de la libération . Edt. Casbah, Alger, 2001, p 6
49. Smati (Mahfoud) . opcit, p 288--50. Millet. (Philippe). opcit. p 164--51. Mahfoud (smati). Opcit. P228
52. جغلول (عبد القادر). المرجع السابق، ص 116 -- 53. قداش (محفوظ). الأمير خالد... المرجع السابق. ص 19